الشاهد اللغوي في كتاب الأمالي
لأبي بكر القالي

حمزة بنطيب
مختبر التراث الثقافي والتنمية
جامعة محمد الأول، وجدة
المغرب

ملخص المقالة:

لا يختلف اثنان في أن الشاهد اللغوي يُعدّ أهم دليل على حياةِ الكلمة في فترة زمنية معينة ورواجِها في سوق الاستعمال في تلك الفترة.

ومن هنا، جاءت فكرة البحث في الشاهد المعجمي في كتاب الأمالي للقالي، فهو من جهة يصور تطور تطبيق الشاهد المعجمي في كتاب القالي، وهو من جهة أخرى يقدم فكرة عن منهجية توظيف الشاهد المعجمي عند أحد أعلام المعجمية العربية البارزين، وهو أبو علي القالي.

وبناء عليه، فقد رام البحث استقصاء أهم الشواهد المعجمية التي استند إليها أبو بكر القالي في بنية النص المعجمي، وقصد إلى بحث منهجية توظيف هذه الشواهد المعجمية، باعتماد نماذجَ تطبيقية.

مقدمة:

يعدّ الشاهد اللغوي أساسَ بنية النص المعجمي وعمادَها، فلا تزال الكلمة محلّ الشرح جامدة لا حياة فيها حتى يُؤْتى بها في الشاهد اللغوي فيحررها من ربقتها ويبعث فيها الحياة من جديد.

وقد استحضر القدماء أهمية الشاهد اللغوي فعنوا به اعتناءً كبيرا، حيث إن الملاحظة العجلى في معجم العين — بوصفه يمثل نشأة المعجمية العربية – للخليل بن أحمد الفراهيدي تكفي لتبيّن ذلك. والفضل يعود إلى الفراهيدي في ترسيخ دور الشاهد وإعلاء أهميته – باعتباره ركنا لا محيد عنه لدعم المادة المعجمية في شموليتها — حيث لم تكن تخلو أغلب مداخل معجم العين من استشهادات أدبية، وهذا ما اعتَمَدَتْهُ جل المعاجم العربية اللاحقة[1].

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الحديث عن المعجمية ونحن بصدد كتاب الأمالي للقالي ضرب من التمحّل في الربط، والحق أن كتاب الأمالي زاخر بالمواد المعجمية كما سيأتي في متن البحث.

ومنه، فقد ارتأينا البحث في الشاهد اللغوي في المادة المعجمية التي تضمنها كتاب الأمالي للوقوف على منهجية أبي بكر القالي في معالجة الشواهد اللغوية من جهة، ورصد تصور لغويي القرن الرابع الهجري للشاهد اللغوي.

وتجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الشواهد اللغوية في كتاب القالي ومعالجتها.

وقد قسمنا البحث إلى أربعة مباحث، احرمنا فيها الترتيب الآتي :

– تعريف الشاهد والمعجم

–الأثر المعجمي في كتابالأمالي

– مركزية الشاهد اللغوي في كتاب الأمالي

–منهجية إيراد الشاهد في الأمالي

1. تعريف الشاهد والمعجم

1–1 الشاهد لغة: قال ابن فارس: "الشين والهاء والدال أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرنا"[2]. وقال ابن منظور: "الشاهد: اللسان، من قولهم: لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة"[3]. وقال الفيروزأبادي: "الشاهد من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، واللِّسان، والمَلَك، ويومُ الجمعة، والنجم، وما يشهد على جودة الفرس من جَرْيِه"[4]

وإذن، فمدار الشاهد من حيث اللغة على أثر يدل على حقيقة شيء مّا، أو دليلا على وقوع حدث ما، ليفصح ما عنده من خبر. ولما كان كذلك أطلق الشاهد على اللسان.

1–2 الشاهد اصطلاحا:

ورد في كشاف اصطلاحات الفنون أن الشاهد عن أهل العربية، هو ذلك الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئي، من التنزيل (القرآن الكريم) أو كلام العرب الموثوق بعربيتهم وهو أخص من المثال"[5].

ونريد بالشاهد . ههنا . كل كلام عربي فصيح . شعرا كان أم نثرا . قيل في عصر الاحتجاج، يساقُ دليلا على استخدام العرب اللفظة محلّ التعريف.

1-3 تعريف المعجم

1-3-1 المعجم لغة، جاء في لسان العرب: " والمعجم النقط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان يقال: أعجمت الحرف ولا يقال عجمته...وقال ابن جني: أعجمت الكتاب أزلت استعجامه...وقال الليث: المُعْجَمُ: الحروف المقطعة سميت معجما؛ لأنها أعجمية، قال: وإذا قلت كتاب مُعَجّم فإن تعجيمَهُ تنقيطُه لكي تستبين عُجمَتَه وتتّضح...وقال ابن الأثير: حروف المعجم حروف أ ب ت ث ...سميت بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط"[6].

1-3-2 المعجم اصطلاحا، يعرف الدكتور أحمد مختار عمر المعجم قائلا: "هو الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين، وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجما إما لأنه مرتب على الحروف الهجائية، إما لأنه قد أزيل أيُّ إبهام أو غموض منه فهو معجم بمعنى مُزال ما فيه من غموض وإبهام"[7].

ويدرج الدكتورأحمد عبد الغفار عطار الشواهد في تعريف للمعجم فيقول، معرفا المعجم: "المعجم كتاب يضم كلمات لغات مَّا، ملّها أو جلها مرتبة ترتيبا خاصا مشروحة بما يزيل خفاءها وإبهامها، ومضبوطة ضبطا حركاتها وحروفها... والمعجم الكامل هو الذي يبين كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها".

2. الأثر المعجمي في كتاب الأمالي:

توقف الدكتور عبد العلي الودغيري في كتابه "أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس" على موضوعات كتاب الأمالي فوجد أنها تنقسم قسمين كبيرين، أولهما الظاهرة اللغوية، وثانيهما الظاهرة الأدبية. على أن كل قسم من هذين يتفرع إلى أقسام وروافد جزئية[8].

ويهمنا من تفرعات الظاهرة اللغوية في كتاب الأمالي الأثرُ المعجميُّ –كما سمّاه الدكتور عبد العلي الودغيري –. فقد تضمن كتاب الأمالي مجموعة من الموادّ اللغوية[9] التي حاول أبو علي القالي أن يشرح معانيها. على أن هذه المواد اللغوية اتخذت صورتين، أولهما عامة يمكن وضعها في المعاجم اللغوية العامة، وثانيهما خاصة يمكن ضمها في المعاجم الخاصة[10].

وقد رصد الدكتور عبد العلي الودغيري مجموعة من المواد اللغوية التي عرفها أبو علي القالي تعريفا معجميا، موضحا الصفحات التي تقع فيها هذه المواد اللغوية[11]. وولعله من المفيد أن نعرض لها في الجدول الآتي:

المادة	الصفحة	الجزء
نسأ	4	الأول
لحن	4	الأول
حرد	7	الأول
ثمل	17	الأول
نجد	25	الأول
حفر	27	الأول
ضرع	57	الأول
عور	59	الأول
عقل	74	الأول
قرف	95	الأول
غفر	97	الأول
أسر	103	الأول
عرض	118	الأول
ربع	144	الأول
خلف	158	الأول
حس	175	الأول
عقب	184	الأول
خلل	192	الأول
درأ	200	الأول
ذرأ	200	الأول
شعف	205	الأول
شغف	205	الأول

بشر	210	الأول
خفي	211	الأول
خيف	212	الأول
خوف	212	الأول
أكل	224	الأول
وتر	234	الأول
جلا	245	الأول
جلل	245	الأول
غرر	263	الأول
جأب	277	الأول
جبأ	277	الأول

ولقد عالج القالي هذه المواد اللغوية بصورة تدعو إلى التأمل، فيقول في مادة "نسأ ": "نسأ الله في أجلك، وأنسأ الله أجلكَ، أي أخر الله أجلك. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سرّهُ النَّساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحِمه. والنَّساء التأخيرت يُقال: بِعْته بنَساء وبنسِيئة، أي بتأخير، وأَنْسَأتُه البيع. وقال الله عزّ وجلّ: "إنما النسيء زيادةٌ في الكفر"، واعني فيه ما حدّثني أبو بكر الأنباري رحمه الله: أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له: نُعَيم بن ثَعْلَبَةَ، فقال أنا الذي أُعاب، ولا يُرَدُّ لي قضاءٌ، فيقولون له: أنسِئنا شهرا، أي أخِّر عنّا حُرمة المحرّم فاجعلها في صَفَرٍ؛ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها...."[12].

استهل أبو علي تحرير مادة "نسأ" بالفعل "نَسَأَ" فقرر معناه، وانتقل إلى الفعل "أنسأ" فبين ما بين نسأ وأنسأ من توافق في المعنى، فلم يزد عليها من مشتقات نسأ شيئا، ثم انتقل إلى الاسم "النَّساء" في حديثه صلى الله عليه وسلم فبين معناه، وقررما بين النّساء" و"النسيئة" من توافق، ثم يعود إلى الفعل "أنسأ" ليثبت معنى التأخير مرة أخرى، لينتقل إلى النسيء فيفسر معناه بما سمعه من أبي بكر الأنباري.

لا يبدو أن أبا بكر البغدادي يسير وفق نظام في ترتيب المداخل المعجمية، وإنما يعرض لها كما اتفق دون أن ينضبط لمنهج معين في ترتيب مشتقات "نسأ". ولعل ما يشفع له أنه بإزاء مجالس شفهية قد تغلب عليها العفوية. ومع ذلك، نقول إن هذا الشرح يقدم صورة لا بأس بها عن معجم البارع.

3. مركزية الشاهد المعجمي في الأمالي:

يحظى الشاهد في كتاب الأمالي بحظة كبيرة، فلا يخلو كتاب الأمالي منه عامة، ولا تخلو شروحه للمواد اللغوية منه خاصة، فهي تزخر به فلعه إحدى الخصائص الرئيسة والمهمة في تعريفه للمادة اللغوية، فهو بالإضافة إلى حجية المعنى الذي يقرره البغدادي للفظة يضطلع بمهمة توضيح أبعاد الكلمة النحوية والدلالية والتداولية في سياق حي.

فإذا توقفنا على شرحه لمادة لحن فهمنا دور الشاهد في تقديم الأدلة على الاستعمال اللغوي لهذه المادة، يقول البغدادي: "قال أبو بكر الأنباري رحمه الله: معنى قوله عز وجل: "ولَتعرِفَنَّهم في لَحْن القول" أي في معنى القول، وفي مذهب القول، وأنشد القَتَّال الكِلَابي:

ولقد لَحَنْتُ لكم لِكَيْما تفهموا وَوَحيْتُ وحيًا ليس بالمرتاب

معناه: ولقد بيّنتُ لكم. واللحَن بفتح الحاء: الفطنة. وربما أسكنوا الحاء في الفطنة، ورجل لَحِنٌ، أي فطِنٌ، قال لبيد يصف كاتبا:

مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ يُعيد بكَفِّه قلما على عُسُبٍ ذَبَلْنَ وَبَانَ

ومن اللحَن الحديث الذي يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ رجلين اختصما إليه في مواريث وأشياء قدر دَرَسَتْ، فقال عليه السلام: "لعلّ أحدكم أن يكون ألْحَن بحُجَّته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار" فقال كل واحد من الرجلين: يا رسول الله حقّي هذا لصاحبي، فقال: "لا ولكن اذهبا فتوخّيا ثمّ اسْتَهِما ثمّ ليُحلِّل كلُّ واحد منكما صاحبَه"، ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عجبت لمن لاحن الناسَ كيف لا يعرف جوامعَ الكلم! أي فاطنهم.

وحدثني أبو بكر عن أبي العباس عن ابن الأعرابي قال: يقال قد لَحَنَ الرجلُ يَلْحَنُ لَحْنا فهو لاحن إذا أخطأ، ولحِن يلحنُ لَحَنا فهو لحِنٌ إذا أصاب وفطن، وأنشد:

وحديثٌ ألذّ هوَ مما تشتهيه النفوسُ يوزَنُ وَزْنا

منطقٌ صائبٌ وتَلْحنُ أحيا نًا وخيرُ الحديث ما كان لحنا

وحدّثني أيضا قال: حدثني إسماعيل بن إسحاق قال أخبرنا نصرُ بن علي قال أخبرنا الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: معاوية: كيف ابن زياد فيكم؟ قالوا: ظريفٌ على أنه يَلحَنُ، قال: فذاك أظرَفُ له، ذَهَبَ معوية إلى اللَّحَنِ الذي هو الفطنة، وذهبوا هم إلى اللحن الذي هو الخطأ. واللَّحْنُ أيضا: اللغة، ذكره الأصمعي وأبو زيد؛ ومنه قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: تَعلّموا الفرائضَ والسُّنن واللحْن تعلمون القرآن.

وروي شَريك عن أبي إسحاق عن مَيْسَرَةَ أنه قال قوله عزّ وجلّ: "فأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ العَرِمِ": العَرِم: المسَنَّاة بلَحْن اليَمَن، أي بلغة اليمن، وقال الشاعر:

وما هاجَ هذَا الشَّوْق إلّا حمامةٌ تغَنَّتْ على خضراء سَمْرٌ قيودُها

صدُوحُ الضحى مَعْرُفةُ اللّحنِ لم تَزَلْ تقودُ الهَوى من مُسْعِدٍ ويَقُودُها

وقال الآخر:

لقد تَرَكْت فؤادَك مُسْتَجمّا مُطَوّقةٌ على فَنَنٍ تَغَنّى

يميلُ بها وتَرْكَبُه بلَحْن إذا ما عنَّ للمحزونِ أنّا

فلا يحزنك أيّام تَوَلّى تذكّرُها ولا طيرٌ أرَنّا

وقال آخر:

وهاتفين بشَجْوٍ بَعْدَ ما سَجَعَتْ ورقُ الحمامِ بترجيعٍ وإرنان

باتا على غصنٍ بانٍ في ذُرى فَنَنٍ يُرَدِّدانِ لُغَةنا ذات ألوان

معناه: يرددان لُغات"[13].

إن المتأمل في شرح القالي لمادة "لحن" سيجد أن متن الشرح تكاد تستغرقه الشواهد، إذ لا يكاد يظهر كلام القالي في متن الشرح، فالشرح – كما هو واضح أعلاه – عبارة عن آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وابيات شعرية، وأحاديث الصحابة، يحاول القالي من خلالها اتخادها موادَّ إيضاحية للمعاني الآتية:

. اللحن ويراج به المعنى.

. اللحَن بمعنى الفطنة.

. لاحن بمعنى فاطن

. لحن بمعنى أخطأ

. اللّحْن بمعنى اللغة

وحتى يستخلص أبو بكر القالي هذه المعاني من مادة "لحن" توسل بمخلف الشواهد التي شكلت الإطار الطبيعي للمفردة المراد شرحها، كما أنها مثّلت الجانب الحقيقي للغة المستعملة، وساعدة على فهم المعاني الحقيقية للمفردة بالنظر إلى إيرادها في مختلِف السياقات.

فقد بلغ عدد الشواهد في التعريف السابق عشرة شواهد، ساقها القالي حسب الترتيب الآتي:

. الشاهد القرآني: وله عز وجل: "ولَتَعرفَنَّهم في لَحْن القول"[14]

. الشاهد الشعري المنتمي لعصر صدر الإسلام: للقتال الكلابي (ت 66هـ)[15].

. الشاهد الشعري المنتمي للعصر الجاهلي: لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (ت 61 هـ)[16].

. الحديث النبوي الشريف: قال عليه السلام: "لعلّ أحدكم أن يكون ألْحَن بحُجَّته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار"[17].

. حديث الصحابة والتابعين: قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عجبت لمن لاحن الناسَ كيف لا يعرف جوامعَ الكلم! أي فاطنهم[18].

.كلام ابي بكر الانباري اللغوي

. شاهد شعري لم يعرف قائله:

وحديثٌ ألذّ هوَ مما تشتهيه النفوسُ يوزَنُ وَزْنا

منطقٌ صائبٌ وتَلْحنُ أحيا نًا وخيرُ الحديث ما كان لحنا

. الشاهد الشعري الاموي: علي بن عميرة الجرمي[19]

. شاهد شعري لا يعرف قائله:

وما هاجَ هذَا الشَّوْق إلّا حمامةٌ تغَنَّتْ على خضراء سَمْرٌ قيودُها

صدُوحُ الضحى مَعْرُفةُ اللّحنِ لم تَزَلْ تقودُ الهَوى من مُسْعِدٍ ويَقُودُها

. شاهد شعري لا يعرف قائله:

لقد تَرَكْت فؤادَك مُسْتَجمّا مُطَوّقةٌ على فَنَنٍ تَغَنّى

يميلُ بها وتَرْكَبُه بلَحْن إذا ما عنَّ للمحزونِ أنّا

وبناء عليه، يظهر أن الشاهد القرآني شكّل من نسبته 10 في المائة من الشواهد الموظفة لبيان دلالات المادة طلحن"، في حين شكّل الحديث النبوي من نسبته 10 في المئة أيضا، والأمر نفسه ينطبق على كلام التابعيين واللغوين فقد استشهد القلي بشاهد واحد من كلام التابعيين مما مثّل 10 في المائة من الشواهد الموظفة، كما مثل الاستشهاد بكلام اللغويين ما نسبته 10 في المائة أيضا. وقد شكلت الشواهد الشعرية ما نسبته 60 في المائة من الشواهد المواظفة. ونسجل أن هذه الشواهد الشعرية نختلف بالنظر إلى اعصرها من جهة وبالنظر إلى قائليها من جهة ثانية. فهي بالنظر إلى الأعصر التي تنتمي إليها جاهلية (شاهد واحد) وإسلامية (شاهد واحد) وأموية (شاهد واحد)، ثم من جهة أخرى فإن عدد الشواهد الشعرية التي ذكر القالي أصحابها بلغ ثلاثة أي ما نسبته 30 في المائة من الشواهد الموظفة في حين بلغ عدد الشواهد الشعرية التي لم يذكر القالي أصحابها 30 في المائة أيضا.

ويبقى أن نشير إلى تأثر القالي بالخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ – 175 هـ) تأثرا باديا، فقد ألف معجمه البارع وفقا للعين ولم يحد عن العين إلا في مواضع قليلة.....، ولعل إيراد القالي للشواهد الكثيرة راجع أساسا تأثره بالخليل بن أحمد الفراهيدي الذي انتهج لنفسه منهجا خاصا بحيث أمعن في إيراد الاستشهادات الكثيرة[20] وتبعه في ذلك اللغويون ومن أبرزهم القالي.

4- منهجية إيراد الشاهد في الأمالي:

مرّ بنا أن البغدادي يوظف مختلف الشواهد، وهو بذلك يضع يحاول أن يوضح دلالى الألفاظ من خلال وضعها في سياقات مختلفة. على أن المستقصي لمجمل الشواهد اللغوية الموظفة في الأمالي يجدْ أنها تتمثل في ما يأتي:

. الشواهد القرآنية؛

. أحاديث نبوية؛

. أحاديث الصحابة والتابعين؛

. أمثال وحكم ومتلازمات؛

. الشواهد الشعرية؛

. نوادر أدبية.

4-1 الشاهد اقرآني:

ولنبدأ بالشاهد القرآني الذي حظي باهتمام كبير لدى القالي بحيث جعله المصدر الرئيس لاستشهاداته، فقد صدّر القالي شروحه بالشواهد القرآني وانطلق منها في بيان دلالة الألفاظ[21]، وهو بذلك يتخذ من القرآن الكريم المصدر الأساس وقاعدته.

4-2 الحديث النبوي الشريف

وإذا عرجنا إلى توظيف الأحاديث النبوية الشريفة بوصفها شواهد لغوية؛ فسنجد أن القالي يقلل من إيراد الأحاديث النبوية في من الشرح. ولعل الملاحظة العجلة في مادة "حرد" وفي معنى الحافرة تكفي دليلا على أن القالي يقلل من إيراد الأحاديث النبوية.

ونرى من جهتنا أن القالي متأثر كغيره من لغويي عصره بموقف النحاة العرب القدامى من الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة[22]؛ نظرا إلى كثرة رواية الأحاديث النبوية الشريفة بالمعنى[23].

ولكن ذلك لم يمنعه بالكلية من إيراد الأحاديث النبوية الشريفة فقد أورده في مادة "نسأ" (وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سرّهُ النَّساء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحِمه") وساقه في مواضع أخرى قليلة. ونسجل أنه كان يشير إلى أن الحديث للرسول صلة الله عليه وسلم بقوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم.

4-3 حديث الصحابة والتابعين:

تظهر القيمة المعجمية في تعريف المواد التي ساقها القالي في ذكر أسماء من ستشهد بكلامهم، فقد استشهد بكلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه موردا اسميهما كما في قوله: "ومنه قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: تَعلّموا الفرائضَ والسُّنن واللحْن تعلمون القرآن"[24]، ومثل قوله أيضا: "ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عجبت لمن لاحن الناسَ كيف لا يعرف جوامعَ الكلم! أي فاطنهم."[25]

4-4 المثال والحكمة[26]:

1.4.4 المثال:

إذا عُرّف المثال بوصفه "قولا موجزا سائرا، صائب المعنى، تشبّه به حالة حادثة بحالة سالفة"[27]؛ فإنه في المعجمية يُعدّ دليلَ ثبوتِ الكلمة في الاستعمال فهو يشهد على حياة الكلمة ورواجها في سوق الاستعمال؛ ومن أجل ذلك تعامل اللغويون مع المثل تعاملا خاصا فعنوا به عناية كبيرة وأدرجوه في استشهاداتهم، فكأنهم بذلك يستكملون ما عجز التعريف أو الشرح عن بيانه وإيضاحه.

وقد وظف القالي المثل، ولم يحد عن أسلافه، وربما أمعن في استعماله، مستحضرا أهميته في الكشف عن معنى الكلمة وبيان دلالتها.

وهذه بعض الأمثلة التي ساقها القالي وهو يشرح المواد اللغوية التي كان بصددها: "وقال أبو نصر: الغارُ كالكهفِ في الجبل، ويقال: "عسى الغُوَيْرُ[28] أَبؤُسا"[29]. وقال في موضع آخر: "قال الأصمعي: من أمثال العرب: لا يعدم شقيّ مهرا"[30]. وقال في مادة خفي: " قال للحياني: يقال: أصابته ريحٌ من الخوافي"[31].

والأمثلة على الشرح بالمثل في كتاب القالي كثيرة، لا يتسع المقام لتتبعها ورصدها، فنكتفي بالأمثلة الثلاثة السابقة، على أنه يمكن أن نستخلص من الأمثلة التي يسوقها القالي في أماليه ما يأتي:

. أن الأمثال التي يسوقها القالي تصف بالإجاز الشديد فنعظمها لا يتجاوز ست كلمات.

. اعتماد المثال السردي الوصفي القصصي كما في المثالين الأول والثاني.

. يكتنف المثالَ الغموض واللَّبس بحيث يحتاج القارئ إلى العودة إلى شروح القدماء حتي يفهم معناه، مما يفقد المثال في بعض المواضح وظيفته التوضيحية والبيانية.

. يصف القالي . أحيانا . الشاهد بالمثال، ويكتفي أحيانا بقوله: يقال، كما هو واضح في الأمثلة السابقة.

2.4.4 الحكمة:

قد يبدو للوهلة الأولى ألا فرق بين المثال والحكمة غير أن الظر في مفهوم كل منهما يجعل الباحث يميز بجلاء بينهما، فقد عرّف العلماء الحكمة: "بأنها عباراة تجريدية تصيب المعنى الصحيح، وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة"[32]. وقد مرّ أن المثال "قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبّه به حالة حادثة بحالة سالفة"[33].

ومنه، يمتاز المثال من الحكمة في الأمور الآتية[34]:

. أن المثال أساسه التشبيه، يعني تشبيه مضربه بمورده، وأما الحكمة فعمادها إصابة المعنى، ولا يراعي التشبيه فيها إلا حيث تصبح مثلا.

. أن أسلوب المثال يتسم غالبا بالإيجاز، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبيا.

. أن الهدف من المثال الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والموعظ.

. أن المثل يصدر عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية، أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف، أو أضرابهما.

ومهما يكن من شيء، فنادرا ما استعان القالي بالحكمة شاهدا على رواج الكلمة في سوق الاستعمال، ومن ذلك قوله في مادة (خيف): وحدثنا أبو بكر بن درير رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: تذاكر قومٌ صِلَة الرحم وأعرابي جالس، فقال: مَنْسَأَةٌ في العمر، مرضاةٌ للرب، محبة في الأهل"[35].

فالظاهر أن الشاهد ليس مثلا وإنما حكمة تلفظ بها أعرابي، اتخذها القالي شاهدا على استعمال الكلمة.

4-5 الشاهد الشعري:

مرّ بنا أن القالي لم يتبع طريقة واحدة في إيراد الشواهد الشعرية في كتابه القالي، وإنما نوّع الطرق التي انتهجها في توثيق شواهده الشعرية، فقد نسب الشاهد إلى صاحبه ولم يسلك طريقا واحدة في نسبة البيت إلى صاحبه، وقد أهمل ذكر صاحب الشاهد الشعري ولم يعزه لصاحبه. وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

4-5-1 توثيق الشاهد الشعري:

تنوعت طرق نسبة الشاهد الشعري في كتاب القالي، وهذه بعض الصور على ذلك:

. ذكر اسم الشاعر:

ومن ذلك قول القالي: " قال أبو علي: قوله غُؤُورا: نادر شاذ: والغارُ: شجرة طيبة الريح، قال عديُّ بن زيد:[36]

رُبّ نارٍ بتُّ أرمُقُها تَقْضِمُ الهِنْدِيَّ والغارا"[37]

ومنه، قول القالي في مادة (أمر): "والهبيت: الأحمق الضعيف؛ قال طرفة[38]:

الهَبيتُ لا فؤادَ له والثبيتُ ثَبْتُهُ فَهِمُهُ[39]

ومن ذلك أيضا، قوله: ويقال: انحَسّت أسنانُهُ إذا تكَسّرت وتَحاتَّت، قال العجاج:

في مَعْدِنِ المِلك القديم الكِرْس ليس بمقلوع ولا مُنحسّ"[40]

وكثيرا ما نبّه القالي إلى صاحب الشاهد الشعري بهذه الصورة (قال)[41].

. ذكر الكُنى:

إذا غلب على صاحب الشاهد الشهري الكنية أواللقب؛ فإن القالي يفضل أن ينسب الشاهد الشعري إلى صاحبه بذكر كنيته أو لقبه.

ومن الأمثلة على ذلك قول القالي في مادة (عرض): "قال الراعي:

نجائب لا يُلْقَحْنَ إلا يَعَارَة عِراضا ولا يُشْرَبْنَ إلا غواليا"[42]

ومعلوم أن الراعي النميري هو لقب الشاعر عبيد بن حصين أحد كبار شعراء العصر الأموي[43].

وكذلك ذكر القالي قيس بن ميمون بكنيته (الأعشى) دون اسمه فقال: وغار الرجل يغور غورا إذا أتى الغور، وزاد اللحياني: وأغار أيضا، وأنشد بيت الأعشى:

نبيّ يرى ما لاترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا"[44]

وقريب من هذا أنه كان ينسب الشاهد الشعري إلى الشاعر باسم قبيلته، كما في قوله: "قال الهذلي..."[45].

. عدم ذكر صاحب الشاهد الشعري:

اكتفي القالي في مواضع كثيرا من شروحه للمواد المعجمية التي تعرض لها في كتابه القالي،

بقوله قال الشاعر دون ذكر اسمه، ومن الأمثلة على ذلك:

- قوله في مادة (عرض): "قال الشاعر[46]:

حمراء من معرّضات الغِربانْ يَقْدُمُها كلُّ عَلاةٍ عِلْيان"[47]

- قوله في مادة (خوف): "قال الشاعر[48]:

ولقد أتاني عن تميم أنّهم ذئروا لقتلى عامر وتغضّبوا"[49]

- قوله في مادة (نسأ): "وقال الآخر":

نسئوا الشهور بها وكانوا أهلَها من قَبلِكم والعزُّ لم يَتَحَوّل"[50]

وقد لا يذكر القالي صاحب الشاهد الشعري فيكتفي بذكر من روى عنه هذا الشاهد، بقوله أنشدنا، ومن أمثلة ذلك قوله:

- أنشدنا أبو نصر[51]
- أنشدنا أبو عبد الله[52]
- أنشدنا أبو عبد الله نفطويه[53]
- وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري[54]
- أنشدني الأصمعي[55]

وجدير بالإشارة أن القالي عبر عن رواية كل من أبي نصر وأبي عبد الله بقوله "أنشدنا"، موظفا ضمير المتكلم الجمع، في حين عبر عن رواية الأصمعي بقوله، موظفا ضمير المتكلم المفرد.

4-5-2 طريقة ذكر الشاهد الشعري:

لم يعتمد الأنباري طريقة واحدة في إيراد الشاهد الشعري، ذلك بأنه يكتفي حينا بالشطر شاهدا، وقد يوظف البيت كاملا حينا آخر، وقد يعتمد البيتين أو أكثر حينا ثالثا.

فمن أمثلة اعتماده الشطر دون البيت قوله في مادة (لحن): قول الشاعر[56]:

منطق صائب وتلحنُ أحيانا

ولعل الأمثلة على اعتماد القالي على البيت الواحد شاهدا كثيرة في شروحه للمواد اللغوية وقد سبقت الإشارة إليها.

ومن الأمثلة على اعتماده البيتين الشعريين شاهدا في مادة (لحن): "وقال الآخر[57]:

وهاتفَين بشَجْوٍ بَعْدَ ما سَجَعَتْ وُرْقُ الحَمامِ وإرنان

باتا على غصنِ بانٍ في ذُرى فَنَنٍ يُرَدّدانِ لُحُونا ذات ألوان

ونفهم لماذا يعتمد هنا القالي على البيتين دون البيت الواحد، ذلك بأن معنى "لحونا" في البيت الثاني لا يمكن أن ينكشف إلا باستحضار البيت الذي سبقه.

ولكننا لا نفهم لماذا يعتمد القالي ثلاثة أبيات في كشفه لمعنى (لَحْنٍ) في قوله:

وقال الآخر[58]:

لقد تَرَكت فؤادك مستَجَنّا مُطَوّقة على فَنَن تَغَنّى

يميلُ بها وتَرْكَبُهُ بلَحْنٍ إذا ما عَنّ للمحزون أنّا

فلا يحزُنكَ أيّامٌ تَوَلّى تَذَكَّرُها ولا طيرٌ أَرَنا

فلعل البيتين الأولين كافيين لاستحضار السياق الذي وردت فيه اللفظة.

ويبقى أن نشير إلى أن الاستشهاد الشعري في شرح المواد اللغوية فيكتاب الأمالي اتخذ ثلاث صور، نرصدها على الشكل الآتي:

. تقديم شرح الكلمة قبل ذكر الشاهد المعجمي المناسب لها:

وهذه الصورة كثيرة في شروح القالي ومن أمثلتها:

. مادة (خفي): "وقال اللحياني: خَفَيت الشيءَ أَخفيه خَيْفا وخُفيا إذا استخرجته وأظهرته؛ وأنشد

خفاهُنّ من أنْفاقِهِنَّ كأنّما خَفَاهُنَّ وَدْقٌ من سحاب مُرَكّب"[59]

. مادة (خيف): "...والخيف: جلد ضرعِ الناقة، يقال: ناقة خَيْفاء، والجمع خَيْفاواتٌ وخِيفٌ، ويقال: بعير أخيف إذا كان واسع الخيف، وهو جلد الثيل؛ وأنشدنا أبو نصر:

صوّى لها ذا كِدْنَةٍ جُلْذِيّا أخيفَ كانت أُمُّه صَفِيَّا

ففي كلا المثالين أوضح القالي معنى الكلمة ثم أتبع الشرح الشاهد الشعري للتدليل على المعنى المتوصل إليه.

. تقديم الشاهد الشعري على الشرح:

قدم القالي الشاهد الشعري على الشرح في بعض المواضع، إذ أتى بالشاهد الشعري أولا ثم وضح ما رآه ملتبسا في البيت بما في ذلك الكلمة محل الشرح.

وهذا مثال على هذه الصورة من توظيف الشاهد الشعري:

. مادة (لحن): "وأنشد القَتال الكلابي:

ولقد لَحَنْتُ لكم لِكَيما تَفْهَمُوا ووحيتُ وَحْيا ليس بالمرْتَاب

ومعناه: ولقد بيّنت لكم. واللَّحْنُ بفتح الحاء: الفطنة، وربما أسكنوا الحاء في الفطنة"[60].

. مادّة (حرد): " وقال الآخر:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جاء من أمر اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنّةِ المغِلّة

أي يقصد قصدها"[61]

الخاتمة

وبناء على ما تقدم، يظهر أن كتاب الأمالي يقدم فكرة جيدة عن تصور القالي للتأليف المعجمي بصفة عامة، وعن تصوره للشواهد المعجمية بصفة خاصة. ذلك بأن شروح المواد المعجمية تطغى عليها الشواهد بمختلِف أنواعها بحيث إن القالي يكثر من الشواهد المعجمية حتى تكاد تستغرق جميع متون الشرح.

ومع كثرة الشواهد التي وظفها القالي في متون شرح المواد المعجمية؛ فإننا نسجل تفاوتا واضحا بين هذه الشواهد المعجمية، إذ حضرت الشواهد القرآنية والشعرية بقوة في الشروح المعجمية، وحضرت الأمثال والحكم بنسبة أقل، في حين أن الأحاديث النبوية الشريفة لم يكن لها حضور قوي في شروح القالي.

وليس ذلك من قبيل الغريب في مصنف الأمالي، ذلك بأن صاحب الأمالي متأثر بالحركة اللغوية والمعجمية السائدة في عصره. ولعل هذا ما يفسر الحضور القوي للشواهد في شروحه للمواد اللغوية..

هذا، وقد ظهر جليا أن القالي يستحضر في شروحه الدور المركزي للشاهد المعجمي في الشرح اللغوي، فلا تعدم مادة من مواده اللغوية وجود شاهد من الشواهد اللغوية وخاصة القرآن الكريم والشعر، غير أن كثرة الشواهد أحيانا قد تغمر متن الشرح وتحجبه، وخاصة حينما يستشهد البغدادي بالشواهد الشعرية المختلفة على المعنى الواحد؛ مما يطيل الشرح لتحصيل حاصل.

على أن القالي لا يعتمد منهجا واحدا في توظيف الشواهد المعجمية، وخاص الشاهد الشعري منها. فهو يذكر صاحب الشاهد الشعري حينا ويتجنب ذكره أحيانا كثيرة، وهو تارة يعزّز معنى الكلمة المتوصَّل إليها بالشاهد الشعري، وتارة أخرى ينطلق من الشاهد ليستخرج منه معنى الكلمة التي هو بصدد شرحها.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم[1]
2. الاستشهاد بالحديث في اللغة، محمد الخضر حسين، بحث بمجلة اللغة العربية بالقاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، 1936م،
3. أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، عبد العلي الودغيري، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشتركة بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة
4. أصول النحو، دراسة في فكر الأنباني، محمد سالم صالح، دار السلام، القاهرة، ط1، 1987م.
5. الأغاني، ابو الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب ج15،
6. الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988م.
7. تفسير ابن كثير، تحقيق د. حكمة بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي، ج1
8. ديوان الراعي النميري، تحقيق رينهرت فاييرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت،
9. ديوان القتال الكلابي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1961.
10. شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط2،
11. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1967.
12. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق عبد علي كوشك، ج1،
13. صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمرم، عالم الكتاب، 1998، ط1
14. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3.
15. القاموس المحيط، الفيروزابادي، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة،
16. لسان العرب، محمد بن مندظور، دار صادر، بيروت، ج3.

17. مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، دار الهدى، الجزائر، ص17.
18. مصادر اللغة، عبد الحميد الشلقاني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، عالم الكتب الحديث، ط1، 2003م.
19. معجم الشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ط1.
20. معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بغداد: دار الرشيد، 1981.
21. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ج3
22. وزهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق د. محمر حجي و د. محمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، 2003، ج1